كلية الآداب واللغات

قسم الفنون

السنة الثانية ليسانس، دراسات سينمائية/ السداسي الثالث

مقياس: نظرية السينما

المحاضرة رقم 04 بعنوان:

" بلاغة الصورة عند أندري بازان"

على الرغم من شيوع وصف الواقعية البازانية بـ 'الواقعية' (Bazanian Realism) ، فإنه يجدر النظر إلى هذا المفهوم في صورة أكثر عمقا وتطورا. المنظر والناقد الفرنسي أندريه بازان (André Bazin) لم يكن مهتما بالواقعية بمعناها المباشر، بقدر ما كان منشغلا باستكشاف إمكانات الوسيط السينمائي بوصفه أداة قادرة على الإبقاء على علاقة واقعية بين المشاهد وعالم الأشياء. ومن ثم، فإن الهدف الجوهري للنظرية البازانية يتمثل في الدفاع عن استقلال موضوعي للعالم، والبحث في إمكانية تمثيله سينمائيا دون المساس بهذا الاستقلال أو تشويهه.

ولا تقوم الواقعية البازانية على مجرد تمثيل للمادة أو الأشياء كما تظهر في الواقع، بل تتجاوز ذلك إلى تمثيل علاقة المشاهد بالعالم .فالفيلم في تصور بازان يعمل على تأكيد حضور العالم الذي سبق التقاطه بالصورة، بما يجعل الواقعية عملية وعي بالعالم وتثبيت لوجوده، من خلال إدراك أهمية الواقع المادي

المستقل عن المتفرج. والسينما، وفقا لذلك، هي الوسيط القادر على تأكيد هذا الوجود وضمان حريته الذاتية.

لقد ارتبط التزام بازان بالواقعية بسعيه الدائم إلى إعادة ربط السينما بالواقع الجسدي المحيط بنا، خاصة في مرحلة كانت فيها الصناعة السينمائية خاضعة لهيمنة النزعة الشكلانية (Formalism) التي سعت إلى استبدال الواقع المادي بعالم سينمائي مصطنع قائم على جماليات بحتة. ولم يكن هدف بازان تبسيط السينما أو تقليص طاقاتها الفنية، بل كان يسعى إلى تحريرها من القيود الشكلانية التي اختزلت التجربة السينمائية في صيغ جمالية منفصلة عن الواقع.

وفي سياق تحقيق هذه الرؤية، أولى بازان اهتماما كبيرا بتقنيات تصوير مثل 'العمق البؤري الكبير' (Deep Focus) و'اللقطات الطويلة'(Long Takes) ، لما تتيحه من قدرة على كشف العالم في صورته الأكثر أصالة، وتمكين المشاهد من حرية الاكتشاف والتأويل بدلا من تحويله إلى متلقٍ سلبي لصور محكمة التركيب مسبقا. فهذه التقنيات هي التي تضمن الواقعية الأنطولوجية للفيلم، وتمنح السينما قدرتها الفريدة على تأكيد وجود العالم المادي في شكله الأكثر صفاء وصدقا.

يتضح أن هدف المنظر أندري بازان (André Bazin)في فكره السينمائي ونظريته (الواقعية البازانية) هو:

1. اهتمامه باستكشاف إمكانات الوسيط السينمائي التي تجعله قادرا على الحفاظ على علاقة واقعية بين المشاهد وعالم الأشياء.

2. الواقعية البازانية هي تمثيل لعلاقة المشاهد بالعالم، وتأكيد لأهمية العالم الذي كان موجودا قبل تصويره.

3. إعادة ربط السينما بالواقع الجسدي الذي يحيطنا :خاصة في وقت كانت فيه صناعة السينما تهيمن عليها نزعة الشكلانية (Formalism) التي كانت تسعى إلى استبدال الواقع المادي بـ واقع سينمائي خالص.

4. تحرير السينما من قيود الشكلانية التي كانت تحاول اختزال التجربة السينمائية في أشكال جمالية متجاوزة.

لقد اشتهر أندري بازان بنظرية البصمة التي اعتبرت المدخل الرئيس لمفهوم الواقعية في السينما، منه إلى بيتر وولن(Peter Wollen) ، بوصفها تقوم على الإيمان بوجود علاقة مباشرة وعفوية بين الصورة والعالم . غير أنّ الصورة الرقمية، على الرغم مما تحققه من مستوى عالٍ من التشابه، تفقد جانبا مهما من مادّيتها، إذ تُلغى المرجعية الأصلية التي كانت الصورة الفيلمية تُحيل إليها. فالصورة الرقمية يُعاد بناؤها حسابيا بعد عمليات المعالجة والتركيب، مما يجعل علاقتها بالعالم علاقة اصطناع وتوليد أكثر منها تسجيل وبصمة.

كما أعادت الجمالية الواقعية في الخمسينيات تقييم مفهوم المشهد، الذي يسمح بإعادة رسم حدث ما في كلّيته واحترام الحقيقة الواقعة بين بازان وكراكاور.

وبالتالي، وصف الناقد والمنظر أندري بازان بأنه من 'الكلاسيكيين الكبار' في معناها الشائع للإشارة إلى أبرز الأعمال الفنية التي تحظى بأكبر قدر من الاهتمام، تبعا لمعايير الذوق السائدة في فترة زمنية معينة. أمّا في تاريخ الفن، فتدل هذه الصفة على مرحلة محددة من تطور الأشكال الفنية يُنظر فيها إلى أن فنا ما قد بلغ ذروة إمكاناته الجمالية.

وفي حقل نظرية السينما، اكتسب هذا المفهوم دلالته الأكثر انتشارا بفضل النقد الإيديولوجي في سبعينيات القرن العشرين، الذي سار على خطى أندريه بازان .فقد ساوى بازان بين السينما الكلاسيكية والسينما الهوليوودية انطلاقا من عشرينيات القرن الماضي، حين تُبلورت قواعد جمالية وإيديولوجية تقوم على أسلوب سرديّ واضح، يرتكز على الشفافية وإخفاء أثر الصنعة الفيلمية.

وبحسب هذا التصور، تنتهي المرحلة الكلاسيكية مع أواخر الخمسينيات، حين أدّت الطفرة التلفزيونية وظهور 'السينمات الجديدة' في أوروبا ولا سيما 'الموجة الجديدة' في فرنسا، إلى إعادة طرح الأسئلة

حول تلك الجمالية التي تقوم على إيهام المتلقي بالواقعية أو الانخداع بما يبدو واقعيا. وإجمالا، يبقى هذا المفهوم خاضعا للتحول تبعا لاختلاف المنظّرين والسياقات الوطنية والثقافية.

كما يرى بازان أن 'اللقطة الطويلة' ليست مجرد تقنية تصوير، بل هي موقف أخلاقي وجمالي يُعيد للواقع جوهره وللمشاهد حريته. ويمكن تلخيص موقفه كالتالي:

1. **الحفاظ على وحدة الزمان والمكان:** إذ يرى بازان أن اللقطة الطويلة تحافظ على "وحدة الزمكان" (Unity of Time and Space) للمشهد. وبذلك، فهي:

- تسمح باستمرارية الحدث: فاللقطة الطويلة لا تُقَطِّع أو تكسر تدفق الزمن الواقعي للحدث كما يفعل المونتاج.
- تحافظ على الغموض الواقعي: تسمح اللقطة الطويلة للأحداث بالتكشف بشكل طبيعي، مما يحافظ على غموض الواقع وتعددية المعاني التي قد تكون موجودة فيه.

2. **منح المشاهد حرية الاختيار:** على عكس المونتاج الذي يفرض على المشاهد رؤية المخرج ويقوده إلى معنى محدد (وهو ما يسميه بازان الشكلانية)، فإن اللقطة الطويلة (بالتكامل مع العمق البؤري):

- تمنح المشاهد حرية الاكتشاف والتفسير: المشاهد هو من يختار ما يركز عليه داخل الإطار الواسع والعميق.
- تُعيد للمشاهد "المسؤولية" في قراءة الصورة، فهو لم يعد مجرد "متلق سلبي للصور التي تم ترتيبها سلفا بواسطة المخرج".

3. **تأكيد الو اقعية الأنطولوجية:** يرى بازان أن اللقطة الطويلة هي الأداة التي يمكنها أن تضمن الواقعية الأنطولوجية (وجودية الفيلم). فالفيلم الذي يستخدم اللقطة الطويلة يؤكد على أن العالم المادي مستقل

عن رؤية المخرج، وأن السينما هنا تعمل على تأكيد أهمية العالم الذي كان موجودا قبل تصويره، وأنها ليست مجرد بناء شكلي.

ومن أمثلة أندري بازان على أسلوب اللقطة الطويلة والعمق البؤري، والذي انحصر تركيزه على المخرجين الذين يقللون من تدخل المونتاج لصالح وحدة المشهد الواقعية. هي:

أولا. أورسون ويلز(Orson Welles) وفيله: المواطن كين .(*Citizen Kane*).

- التقنية :العمق البؤري الكبير .(Deep Focus)

لقد أشاد بازان بـ"ويلز" لاعتماده على هذه التقنية، حيث يرى أن استخدامها في فيلم المواطن كين يسمح للواقع بالاحتفاظ بالغموض وتعددية المعاني، ويمنح المشاهد حرية الاكتشاف والتفسير داخل الإطار الواحد.

ثانيا. جان رينوار(Jean Renoir) : التقنية :اللقطة الطويلة .(Long Take)

إذ يُعتبر رينوار بالنسبة لبازان نموذج الواقعية الأفضل، حيث كان يستخدم اللقطة الطويلة بشكل أساسي للحفاظ على وحدة المشهد الزمانية والمكانية، والسماح للأحداث بالتكشف في إيقاعها الطبيعي دون تدخل مقص المونتاج الذي يفرض معنى جاهزا.

ثالثا. ويليام وايلر:(William Wyler) : التقنية :العمق البؤري الكبير .(Deep Focus)

إذ كان وايلر مثالا آخر للمخرجين الذين استغلوا تقنية العمق البؤري لتعزيز الواقعية وإظهار العالم المادي في صورته الأصيلة.

وفي الأخير، فإن اللقطة الطويلة والعمق البؤري بالنسبة لبازان، هي وسيلة لتحرير السينما من قيود الشكلانية، وتصوير الواقع بطريقة تحترم استقلالية العالم وتُشرك المشاهد بفاعلية في عملية الإدراك والتفسير.

المكتبة البيبليوغرافية:

- دادلي أندرو، ما هي السينما من منظور أندريه بازان، تر: زياد ابرهيم.
- هنري آجيل، علم جمال السينما، تر: ابراهيم العريس.
- لوي دي جانيتي، فهم السينما، تر: جعفر علي.
- آلان كاسبيار، التذوق السينمائي، تر: وداد عبد الله.